

يوسف روحانا، فقيد لبنان

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية

رحل عظيم من عظماء وطن الأرز، رحل إلى دنيا الآخرة الشاعر المهجري الوطني الكبير يوسف روحانا عن عمر ثمانين عاماً قضاها فارساً مغواراً في عالم الزجل رافعاً راية وطن قدموس وحيرام وكرامة أهله ولبنان لم يغيب عن قصيدة واحدة من آلاف القصائد التي كتبها. رحل ابن سبعل البار في غربته (انديانا/الولايات المتحدة) مجروح الخاطر وفي نفسه حرقه لأن أمنيته الوحيدة في غربته القائلة كانت أن يرى لبنان وقد استعاد حرّيته ورحل عن أرضه المقدسة آخر جندي غريب. يوسف روحانا ولد شاعراً وعاش شاعراً ومات شاعراً كما قال مدير تحرير جريدة الهيرالد بيار رفل، وهو غاب عن هذه الدنيا الفانية بالجسد فقط لأن روحه باقية ترفرف على كل تلة وواد من تلال ووديان وطننا الحبيب، كما أن ذكراه العطرة لن تنمحي من وجدان اللبنانيين. إن ما تركه من إنتاج زجلي وطني سيبقى مشعاً طالما بقي لبنان وبقي لبنانياً واحداً يرى في الشعر اللبناني طقساً من طقوس الصلاة والقداسة. قبل رحيله بأسبوعين اتصلت به هاتفياً وتمنيت عليه أن يكتب لنا قصيدة نقدمها لغبطة البطريرك الكردينال مار نصر الله صفير خلال زيارته إلى كندا، فوعدني خيراً رغم أن المرض كان أفعده ولم يعد يقوى على الحركة. اتصل بعد ثلاثة أيام ليقول لي بأنه غير قادر على تلبية طلبي بالكامل، إلا أنه سيرسل لي قصيدة وطنية كتبها عقب صدور بيان المطارنة الموارنة الشهير في أيلول الماضي ونشرتها صحيفة الهيرالد في أستراليا، وذلك بعد إجراء بعد التعديلات عليها لتناسب مع روح زيارة البطريرك إلى كندا وأميركا، وفيما يلي بعض ما جاء في القصيدة:

يا صاحب الغبطة، وصل لنا صدك
تخمين، ودت سيدة حريصا الملاك
وروح الحويك تركت المرسوم لأك
وما في وطن حر .. وشعب للامتلاك
ومنك سمعنا، ل كان لازم نسمعو
ت تردّ لبنان الوطن عا موضعو
بلبنان حر .. وحجة وجودو معو
وانسان عن ببيخر ل عن يبلعو

صوتك .. طلعلو بقبة المهجر صدى
لبنان ما بعمر على جار اعتدى
ل قلبو .. جبل ايمان، وتربة هدى
بالزور ما في عهد بيدوم لحدا
وصوبك عيون الغايبين تطلعو
لكن إذا الجيران فيه تطمعو
ما في زوابع من بكركي تقبعو
والحق ما في سيف يقطعو

لبنان بيت النور، ورجال القلم
وجيش ل حلف ت يكون حارس للعلم
وشو الفرق، بين النايب والخدم
واللي بيزرع سوس جابي من العجم
ما يقبل، بدوله بشر تنمرمغو
مما يعرف لأيا علم تا يرفعو
ل نص الزفت عا درب عنجر قبعو
بوقت الحصاد الحصاد بيكل ل عن يزرعو

شو هالكرامه ل عندكن يا معينين
وعن تخدمو بلاد الأجانب راكمين
شو ضركن تصريح من بطرك أمين
لا تكذبو عالناس، كان عارفين
نواطير زريع، زكايز فاضيين
ل بدكن تبيعو بلادكن تا تشبعو
وتتهجمو علي ما بدهن يركعو
ت يحرر البيت المريض ويجمهو
هلي عن يعبو السلال ويدفعو
وخرزات عينيهن خرز ما بيقشعو

يا سيد بكركي بعد ها الانتظار
بالحب والايمن جربت الحوار
لبنان أرض مقدسه، حتى الحجار
واعتا سلاطين السلاطين الكبار
جراس المانه والتحرر ربعو
ووقفت بالهيكل وقلت تقلعو
بعرقات مريم بعدن عن يلعمو
عا عتبه الدير العتيق بيركعو

سيبقى شعر يوسف روحانا متداولاً كشعر العظام من أبناء وطن الأرز الذين سبقوه. ولبنان الذي رحل شاعرنا قبل أن يراه حراً سيداً مستقلاً خالياً من الجيوش الغريبة، هذا اللبنا سيتحرر بإيمان وعزيمة وتضحيات الأبرار من بنيه وفي مقدمهم غبطة البطيريك صفير طال الزمن أو قصر. حث غبطة البطيريك حامل لواء التحرير والتحرر المغتربين خلال جولته على كل من أميركا وكندا التي استمرت 40 يوماً على دعم حق بلدهم في الحرية والسيادة والاستقلال ليعود وطناً للتعايش والسلام "وطن الرسالة" كما وصفه قداسة البابا يوحنا بولس الثاني. روح يوسف روحانا لا بد وأنها فرحت بما بشر به غبطة البطيريك إلا أن عظامه لن ترتاح في رقادها بانتظار نافخ البوق ويوم القيامة إلا يوم يتحرر لبنان ويسترد قراره.